

الجزء الخامس | ايار سنة ١٩١٦ | السنة الثالثة

الطيران

— ٦ —

ورأى الطيارون بعد التجارب التي ذُكرت سابقا ان أهمّ شيء يجب ان يهتموا به ليبلغوا البالون الدرجة المطلوبة هو المحرّك اذ به فقط يستطيع البالون أن يطير مقاوماً للريح في الوجهة التي يصرّفه فيها راكبه . وفي سنة ١٨٨٣ صنع غاستون تيسانديه بالوناً ساقه بالقوة الكهربائية وطار به بسرعة ثلاثة الى اربعة امتار في الثانية . ولكن اهمّ نجاح توصل اليه صانعو البالونات وقتئذٍ هو الذي أدركهُ رينار وكريبس وهما ضابطان فرنساويان كانا مديرين للقسم الحربي من المناطيد . ففي سنة ١٨٨٤ اخترع هذان الرجلان بالوناً سمياه « فرنسا » وجعلاه بيضوي الشكل غليظاً من عقبه الذي يتجه الى الامام في سيره ودقيقاً من رأسه الذي يتجه الى الوراء والغرض من ذلك تقليل مقاومة الهواء له وأناطا به زورقاً ثابتاً لا يتقلقل وجعلا فيهِ زقاقاً ينفخانها

عند ارتفاعه ويفرغانها عند نزوله ليبقى جرمه على حال واحدة وساقاه بمحرك في مقدم الزورق يدور بقوة الكهربائية المتولدة من رصيف كهربائي لا بقوة الرجال كما في اختراع ديبوي وهذا وجه فضل اختراعهما على سائر ما أُخترع قبله . وقد جربا الطيران في بالونهما سبع مرات وعادا في الحال الى الارض خمس مرات وقد ادركا سرعة ٥،٥ امتار و ٦،٥ امتار في الثانية ولكنهما لم يستطيعا ان يثبتا في طيرانهما اكثر من نصف ساعة لان المحرّك بعد نحو نصف ساعة كانت تبطل حركته . وقد كان لهذا الاختراع احدوثة حسنة واشتهر امره كثيراً بين الخاص والعام . ومن جملة ما قاله ارفي مانجان في اكاذيمية باريس بهذا الصدد : ان مسألة المنطاد القيّد (اي القابل الانقياد) قد حُلّت عملياً ولم يبقَ من يشك في نجاح هذه الصناعة

وقد زيد اتقان البالون بعد عهد رينان وكريبس المذكورين ولكن لم يُضف اليه استنباط كبير وقام جهابذة العلم بعد ذلك يزاولون الامتحانات والتجارب على وجوه اخرى وغاية ما كانوا يطلبونهُ ان يتمكنوا من ادارة البالونات وتدبير حركاتها رغماً عما يعترضها في سيرها من عوارض الرياح. لان الريح اذا كانت هاجعة سار البالون براكبهِ كيف شاء وكذلك اذا هبّت هبوباً بطيئاً ولكنها اذا ثارت شديداً عبثت بهِ وصار تحت رحمتها فلا يسلم من شرها. وتعليل ذلك هو ان الالات المحركة التي اخترعوها للبالونات كانت ثقيلة جداً وضعيفة جداً وليس في امكانها مقاومة الريح الشديدة فصار من الضروري اختراع الات محركة ميكانيكية اقوى

من الالات التي سبق ذكرها . ولما كان البالون اخفّ من الهوآء خطر لبعض ارباب الفن ان يخترعوا مركبة تطير في الهواء وتكون اثقل منه ودليلهم الى ذلك الطيور فانها أثقل من الهوآء كثيراً ومع هذا فهي تطير بتمام الحرية دون ان تتغلب عليها الريح مهما كانت عنيفة . وبهذا الفكر عاد الطيارون الى الطبيعة يريدون ان يكتشفوا فيها سرّ النواميس الطبيعية لطيران الطيور . — على مثل هذا الاساس بنى المخترعون بواخر البحر اذ قلّدوا بها هيئة الاسماك ثم تفننوا بها ما شاءوا

وفي تلك الاثنآء قام كثيرون من اهل الحذق واخترعوا آلات شتى . منهم لونوا وبينفينو وأميكور وبريز وغوشو وبوشي وجولن وبنغام وغيرهم ممن لا فائدة من ذكر اسمائهم . وجميعهم اخترعوا آلات طيارة مختلفة الاشكال والاثقال ولكنهم لم ينجحوا « لان الانسان — كما قال غيلمغولتس وغيره من العلمآء الكبار — لا يمكنهُ ان يطير اذا اعتمد على قوتهِ العضلية فقط لانها غير كافية لادراك هذه الغاية . فللطائر (بالمقابلة مع ثقل الانسان) قوة عضلية تفوق قوة الانسان مئتي مرة . وعليه فاذا اراد الانسان ان يطير في مركبة أثقل من الهوآء يلزمه محرك مكانيكي قوي » او كما قال العالِم بروكتر « ان طيران الانسان في البالون وانتقاله بهِ من مكان الى آخر وافقتهُ الرياح او لم توافقهُ ضرب من المحال لان البالون كبير الجرم جداً فاذا ضادّتهُ مجاري الرياح مزّقته او عجز ما فيه من الآلات عن صدّها . ولكن لا يبعد ان يتمكن الانسان من الطيران بالاجنحة الصناعية او يتصل الى ما هو أنفع من ذلك وهو ان يخترع آلة

تسير في الهوآء بتحريك اجزائها فيه كما يطير الطائر بحركة جناحيه » .
وبادر الطيارون في الحال الى ممارسة الاختبارات والامتحانات في هذه القضية وقد رأوا صعوبة كلية في تقليد حركات اجنحة الطير وثبت لديهم انهم لا يستطيعون ان يدركوها او ان يخترعوا اجنحة صناعية في امكانها مجاراة جميع الحركات والهيئات التي للاجنحة الطبيعية . وبعد ان توالت الامتحانات على غير طائل اشتهر في تاريخ الطيران المهندس الالماني اوتو ليلنتال بما ادخل في هذه الصناعة من الاختبارات والفوائد التي لاتحصى

— ٧ —

شرع ليلنتال في تجاربه منذ سنة ١٨٨٨ وكان يعتقد ان الطيران مقدور للانسان وانه يتمُّ بالممارسة وعلى من اراده ان يطير ويقع ويطير ويقع الى ان يصير يطير ولا يقع . وما زال هذا الرجل يدرس كيفية طيران الطيور ولا سيما البحرية منها حتى اخترع سنة ١٨٩١ آلة تشبه بهيئتها طائراً قد نشر جناحيه . ثم طار بهذه الالة اكثر من الفي مرة . وفي سنة ١٨٩٦ امتحن آلته بمحرك خاص ولكن الريح اشتدت عليه في اثناء الطيران فسقط ليلنتال من علو ٣٠ متراً وقضى نحبهُ قبل ان يتوصل الى ادراك ضالتهِ المنشودة

غير ان اعماله وتجاربه لم تذهب ادراج الرياح وقام بعض ارباب الفن فاقتدوا به وساروا على منواله . منهم المهندس بيلشر في انكلترا وشانيوت وافيري وغيرينغ ورَيط اخوان في اميركا وغيرهم وادخلوا في الالات

الطيارة اصلاحات تذكر وجعلوا فيها محركات تدار بالبنزين . وتنوعت بعد ذلك الالات الطيران حتى لم تعد كلمة بالون كافية للتعبير عنها فسماها بعضهم آلات الطيران وآخرون السفن الهوائية وغيرهم الطيارات وغير ذلك . وهي تقسم الى نوعين (الاول) المناطيد التي اخفّ من الهواء و(الثاني) المناطيد التي اثقل من الهواء . ومناطيد النوع الاول على نوعين ايضاً وهما مناطيد غير قيّدة ومناطيد قيّدة (Dirigeable)

اما المناطيد التي اثقل من الهواء فتقسم الى ثلاثة انواع وهي (١) المناطيد المقلدة الطيور (٢) المناطيد التي فيها رفّاصات لولبية (٣) المناطيد ذات السطوح وهي احسن انواع الالات الطيارة لانها تدار بآلات ميكانيكية محركة واجزاء اخرى محركة تدفعها وتسير بها

وقد أُتقنت اشكال هذه الطيارات ومادتها ومحركاتها بحيث صار ركوب الهواء أقرب منالاً مما كان في السنين الماضية . واذا استمرّ الاتقان على هذا المنوال فلا يبعد ان يصير ركوب الهواء ميسوراً لعامة الناس بعد بضع سنوات وتصير الطيارات واسطة لترويح النفس والسفر من مكان الى اخر كالبواخر والسكك الحديدية

وتألّفت في اوروبا واميركا شركات عديدة لتنشيط هذا الفن وقام كثيرون من الاغنياء والعظماء فدعوا الطيارين في اوقات مختلفة الى سباقات جوية بشروط معلومة وجعلوا جوائز مالية لمن يفوز منهم . وقد تنبهت الدول الى الانقلاب العظيم الذي سيحدث في سائر البلدان بعد انتشار المناطيد الحربية ولم تبقَ مملكة من الممالك المتمدنة الأ سعت ان

تسبق سواها في اصطناع هذه المناطيد وتسليحها بالديناميت والمدافع . ومن كلام وزير خارجية المانيا في هذا المعنى « ان آلة الطيران اهمُ ما يُنتظر في المستقبل وان حكومته لا تغفل عنها طرفة عين » وقال رئيس وزراء النمسا والمجر « ان آلة الطيران قد تغير كل شيء — البوارج والقلاع والتخوم وقد تقضي على كل انواع الاسلحة » وقال ملك ايطاليا « على مَ أُنفق مليوني جنيه على بناء بارجة كبيرة وآلة من الات الطيران تتلفها قبلما تغادر مرفأها » . . . وسنفرد في الجزء القادم فصلاً خاصاً نتابع فيه البحث عن تاريخ الطيران ونذكر بعض الطيّارين الذين اشتهروا منذ اواخر القرن الماضي الى هذه الايام



العلم

للفيلسوف باكون (١)

ان في العلم لسروراً وحلية وقوة . اما السرور ففي العزلة والانفراد وحليته في المجالس تدور فيها الاحاديث والمناقشات وقوته في إحكام العمل فقد يكون ذوو الحذق مقتدرين في العمل وربما ميزوا اجزاءه واحسنوا النظر في تفاصيله ولكن الاحتيال وحسن الادارة في الاعمال مرجعها ارباب العلم

على ان التفرغ للدرس مدة طويلة بحيث لا تبقى معها فرصة للعمل شأن الكسلان المتراخي . والاكثار من التظاهر بالعلم لمجرد التباهي بهِ تكلف . والحكم في المسائل بمجرد النظر الى مبادئه شأن طالب العلم

(١) معربة عن الانكليزية بقلم توفيق افندي زيبق

العلم يعزز المواهب الطبيعية غير انه مفتقر الى الاختبار وذلك لان القوى الطبيعية مثل النباتات الطبيعية محتاجة الى التهذيب — والعلم قد يدل دلالات كثيرة ويجوّز تجويزات متعددة وانما يتبع المرء منها ما يوحي اليه اختباره انها المثلى

والناس من جهة العلم مذاهب: داهية يحتقره ويسخر بذويه. وبسيط يُعجَب به. وحكيم يستخدمه. قلنا حكيم لان العلم نفسه لا يوجب استعماله فالاقبال عليه اذن والعمل بهِ حكمة يكتسبها الانسان بالملاحظة والاختبار

فاذا اردت ان تنتفع بالعلم فرد مناهله لابنيّة الاعتراض والمناقضة ولا لتسلم بما فيه تسليم اعمى ولا لتجد مواد للمحادثة بل لكي تزن وتمحّص وتعتبر. واياك ان تجري على نمط واحد في قراءة كل الكتب بل اكتفِ من بعضها بالوشل وازدرد بعضها ازدراداً ولا تترك البعض الاخر الا بعد ان تمضغه ويهضمه ذهنك. اعني بذلك ان تكتفي من بعض الكتب بدرس بعض اقسامها ومن بعضها بمجرد القراءة دون ان تدقق وان لا تترك البعض الاخر الا بعد ان تقف عليها كلها وتدرسها بانعام وتدقيق نظر وانتباهٍ كلي. ثم انهُ يكفيك من بعض الكتب ان تقرأ فصولاً اقتبست منها او الملخص الذي استخرجه منها بعض الكتّاب. ولكن لا تفعل ذلك الا في الكتب المنحطة لئلا تجرد الطبقة الراقية منها مما يحلّيها فتذهب برونقها وطلاوتها فالكتب المقطَّرة كالمياه المقطَّرة تافهة لا طعم لها

المطالعة تصير المرء كاملاً. والحديث ذكياً. والكتابة مدقّقاً. ولذلك من كان قليل الاطلاع كان قليل الحيلة. وقليل المحادثة بطيء الخاطر. وقليل

الكتابة ضعيف الذاكرة لا يركن الى رأيه

هذا وان في التاريخ لحكمةً وان في الشعر لسرعةَ خاطر وان في الرياضيات لدهاءً وان في الفلسفة الطبيعية لتبحّراً وان في الادبيات لرزانة وان في المنطق والبيان لسحراً

وكما ان النقص في القوى الجسدية يعالج بممارسة بعض الالعاب الرياضية كالصيد فانه مقوٍّ للرئتين والصدر والمشي البطيء للمعدة والركب للرأس وما اشبه كذلك لا انحراف في القوى العاقلة الا وله في العلم مقوّم . فان كنت مصاباً بتشتت الذهن فعليك بدرس الرياضيات لانه اذ شت منك الذهن في اثناء العمل ولو قليلاً اضطررت الى العود من البداءة . وان كنت قاصراً في التمييز بين امرين او التفريق بينهما فعليك بفن التعليم فان فيه كما قال انطونيوس بيوس «شقاً لبزور الكمون» وان اعوزك استحضار المسائل والاستشهاد بامرٍ على آخر فعليك بدرس الحقوق . — ترى اذن ان ليس من عاهة في القوى العاقلة الا ولها في العلم علاج فعليك بهِ

الصيّادة الحسناء

هذي رسالة كاتبٍ سوري قد زارَ دارَ العلمِ والنورِ
امَّ العواصمِ مسرحَ الحورِ باريسَ ملقى السادةِ الغررَ
باريسُ تلكَ مدينةُ العُلما رفعَ الصديقُ له بها علما

وسعى فأصبح سيداً عَلما واقامَ بعد العسرِ في يسرِ

* * *

قال الصديقُ : ذهبت في العيدِ نحوَ الحدائقِ ملتقى الغيدِ
فظننتهنّ جآذرَ البيدِ أقبلنَ نحو مرابعٍ خضرِ
أصبحتُ وسط الروض مبتسما وغدا الهنا في القلب مرتسما
ونأى العنا وارتدّ منهزما كالليلِ أجفل من سنا الفجرِ

* * *

أكرم بهِ من منظر حسنِ فلقد نفت حسناتهُ شجني
ما بين جاري الماء والفننِ وكواعبٍ كالانجمِ الزهرِ
يختلنَ بين منابتِ الزّهرِ بقلائدٍ ومطارفٍ حُمرِ
متدانياتِ النحرِ للنحرِ متجاذباتِ الخصرِ للخصرِ
هذي تشم روائحَ الرندِ جذلاً وتلثمُ وجنةَ الوردِ
وتضمُّ تلك الفلَّ كالعقدِ وتُحلُّ هذي الآسَ في الشعرِ

* * *

وأحبُّ ما عاينتُ في زمني صيادةٌ تختالُ كالغُصُنِ
أمست هنالك فتنةَ الفتنِ ترمي القلوبَ باسهمِ السحرِ
سارت يقبِّلُ ذيلها العشبُ والسِربُ يبدو بعده سربُ
كالشهبِ يلمعُ إثرها شهبُ وأمامها بدرُ الدجى يسري
عاشت كغصن طيبٍ رخصِ بين الهوى واللهو والرقصِ
وتفننت بالرمي والقنصِ حتى غدت صيادةَ العصرِ

* * *

تحيي نفوسَ القومِ إن نظرت
وتميتُ قلبَ الصبِّ إن نفرت

وتردُّ نورَ الشمسِ إن سفرت
خجلاً وتخسفُ طلعةَ البدرِ

لبست قميصاً زانهُ القدُّ
فاذا مشت يترجرجُ النهدُ

او حُدِّثت يتوردُ الخدُّ
أو حدّدت ألحاظَها تفري

برزت أمامَ الجمعِ كالملكه
وبكفها اليمنى رمت شبكه

فاذا بيسراها بدت سمكه
جاءت بها من لجة النهرِ

* * *

وبقربها لمحت على الأثرِ
طيراً يغرّدُ آيةَ الظفرِ

متنقلاً في باسقِ الشجرِ
في مأمنٍ من حادثِ الدهرِ

فمشت اليه مِشيةَ النقمِ
ورمت عليه النار عن أَممِ

فإذا على بُرْديهِ قطرُ دمٍ
وإذا الجناح أُصيب بالكسرِ

فرنا اليها وهي تبتسمُ
ودنت اليهِ وفي الجناحِ دمٌ

نظرانِ! في النظرينِ مرتسمُ
مرُّ الرَّدى وحلاوةُ النصر!

* * *

يا ربّةَ الادلالِ والخفرِ
ماذا فعلتِ بخائفٍ حذِرِ؟

ماذا جناهُ عليك من ضررٍ
طيرٌ قذفتِ بهِ الى القبرِ

كم زرتُ روضكِ باكراً سحرا
فنفيتُ عنك الهمَّ والكدرا

بمدائحٍ رتّلتُها سُوَرا
والريحُ تُهدي طيّبَ النشرِ

أختَ الجمال وربّةَ الدَّعجِ
واميرة الانوار والبلجِ

أَفما كفاكَ الصيدُ للمهج والطعن بالاحداق في الصدر؟

* * *

لكَ كلُّ ما في ارضنا خدمُ يعنو لديكَ الدهرُ والامم
بيديكَ وحشُ البرّ والنسمُ والطيرُ والاسماكُ في البحرِ!!!

حليم ابرهيم دموس



زهور الحقول

كما يتلاشى صدى الصوت في الوادي وتتبدَّد الانفاس الحارَّة في النسيم البارد وكما تذوب الشمعة من لهيب النار ويضيع البخور المحترق في عرض الفضآء وتنقطع الحان الموسيقى بانقطاع تموّجات الاصوات الرنانة — هكذا يأتي زمان تزول فيه عظمة تلك الامم الغابرة وتسود البساطة المقدسة في هذا الكون الفسيح الذي يقتتل أهلوه لاجل ما يسمونه نفوذاً وسلطةً ومجداً

تعالي ايتها البساطة — عشيقة الابرار والقديسين وحبيبة الفلاسفة والمصلحين . تعالي اليَّ ايتها الوحيدة الشريدة فقد وجدتِ الرجل الوحيد الذي يميل اليكِ ويحبكِ ويفضلكِ على عظمة الدنيا بأسرها

انتِ الذي نبذكِ الانسان من قصور الملوك وصروح الاغنيآء ومعابد المتزهدين فأويتِ الى الكهف والكوخ ربيبة القفر وعشيرة البوءساء والتعساء فكنت تعزية للمحزونين وسلاماً للمعذبين

انت، التي لاجلك، طاف المصلحون الارض مضطهدين تائهين يتهددهم السيف والنطع والنار والصقيع فهنيئاً لك، وهنيئاً لمن تكونين لهم رفيقة في هذه الحياة فانهم يكونون من السعداء وأجرهم لا يضيع

طردتك، هياكل القدماء من الرومانيين والمصريين والفينيقيين والاشوريين فقلت، ان لي في هياكل الاهي ومعبودي الوحيد وحملى الوديع مكاناً اسند اليه رأسي فاذا بتلك الهياكل قد قتلتك في جبل الجلجلة ودفنتك في ذلك الضريح الى الابد

اني افتش عنك في المدينة في القرية في المزرعة في الوادي في الجبل في الصحراء في البحار في الانهر فلا اقف لك على اثر. فأين انت اذاً يا معشوقة السماء ؟.. اين أطلبك يا ضالتي المنشودة ولم يبق مكان لم يصل اليه فساد الانسان...

هنالك في الاماكن التي قدسها الاستشهاد وروتها دماء الشهداء جلست سيدة الحقل تبكي وتنتحب وقد حنت رأسها ألماً حيث سقط اكليل الشوك وطرح شعار القلب المنكسر والنفس الحزينة المتألمة

تعالي. تعالي ايتها المطرودة الحزينة وتغلغلي في بيت الفلاح وكوخ الفقير ومحبس الناسك الفيلسوف وحجرة الكاتب المسكين. فانت موحية الي روح الحكمة والفلسفة ومعزية لي في وحدتي وفي وحشتي. في حزني وفي يأسي. الي الي ايتها المعبودة مني في روح الطبيعة وقلب المتعبد المتضع وهيكل الفيلسوف الكبير. فلنهرب الى البرية ونبن لنا كوخاً صغيراً حقيراً ونعش هناك سوية. ولنعمل في الارض مع العامل

والفلاح ونتخذ دروسنا من الطبيعة فهي خير لنا من ضوضاء العالم وشرور المجد والعظمة اني اعاهدكِ يا ملاك البرية ان ابقى معك بين الريحان والغار والشيح ولو قُرعت الاجراس ونقرت الطبول وارتجت الاودية لاصوات البارود والمدافع . فاني اعتبر كل ذلك وهماً زائلاً ومجداً باطلاً ولا افارق ذلك الكوخ السعيد والعمل المفيد الى ان تضمني واياكِ ظلمة القبر (المهذب) قبلان الرياشي



القلب الظمآن

(تتمة)

وفي بدء عام ١٨٥٠ رُزئت الاميرة بفقد قرينها ففقدت بموته مرشداً كانت تنقاد لارادته وتأتمر باوامره وتتوكل في كل امورها على خبرته ومعرفته وشعرت بافتقار كلي الى من يعضدها في بلواها ويسيرها في حياتها الجديدة . فصفا الجو لاندري وراى في ذلك ارادة الله الآئلة الى تخفيف لوعته . وما بلغه نبا وفاة الامير حتى بادر الى منزل السيدة فيرا واتخذ التدابير اللازمة لدفن الفقيد وتعزية الاميرة . فرات فيه خير صديق يخفف مصابها بما يبديه من التدابير الملائمة . ورات في الانقياد لارشاداته ونصائحه تسكيناً لعواطفها الثائرة وفي اشتراكه معها في الحزن تعزية لا تُقدَّر في مثل هذه الظروف . وكان اندري ملازماً لها لا يفارقها باذلاً جهد المستطاع في مداواة قلبها المجروح بكلامه الرقيق واحاديثه الروحية المعزية . فتسنى له ملامسة نفسها وعرف اماكن الضعف فيها فجعل يسندها بعذوبة كلامه وراقب بمزيد السرور نموَّ ثقتها به وانعطافها اليه واصبح كالخيال الساري من شدة ما ناله من السرور

مرَّت ايام الحداد وحان لاندري ان يلزم ديره ويقوم بما تفرضه عليه واجباته النسكية . غير انه شعر ان لا طاقة له على مفارقة الاميرة واصبح كل شيء سوى

الاميرة لا اهمية له في نظره . وعادت نار الوجد الى اضطرامها فلم يعد يرى في الاماني الرهبانية وفي مرضه وعلوّ مقام الاميرة مانعاً عن نيل امانيه الحبية . ولما كان يعتقد ان الامير لا غيره كان العقبة الكبرى في طريقه الى السعادة راى الان ان قد سقط كل فاصل بينهما وتراءى له المستقبل بصور خلاّبة وبهاء فتان . . .

ومرة قال لها وهو ينظر اليها نظرة المحب المفتون – دعي الهموم عنكِ ولا تسترسلي يا اميرتي في الحزن . على الاحياء ان يفتكروا بالاحياء لا بالاموات . . . اني اشعر في نفسي بحياة جديدة تنمو . الا يشترك قلبك معي في هذا الشعور ؟ فاجابت – ان قلبك الرقيق يطلب التعزية لي في حين اني لا ارى تعزية في غير الدموع السخينة على فقيدي البار . اطلب اليه ان يصفح عن هفواتي وما سببت له من الاكدار . .

و كانت هذه الدموع وذكرى الفقيد تقلق اندري وتشغل بالهُ لان قلبه كان ظمآن يطلب الحياة والحب والسعادة . وشعر ان هذه السعادة قد اصبحت قريبة المنال فقال مرة للاميرة – مضت اشهر لم اركِ في مسكني الحقير . ان هذا المنزل الفخيم يجرح فوادك بالتذكارات المؤلمة وكل ما فيه يذكر بما مضى اما انا فلا افكر في غير المستقبل . ها الربيع آت . فيه تتجدد الطبيعة وتكتسي حلة خضراء نضيرة فتمضين انت الى مصيفك وتأذنين لي ان اتبعك . ما اعظم سعادتي . حقاً ان هذا عيد الحياة . وما الذ الحياة معكِ يا اميرتي والشعور بقربك . .

و كانت الاميرة قد لاحظت في المدة الاخيرة تطوحاً منه فرابها امره لكنها لم تفاتحه بذلك حياء . فخفق قلبها وقالت – دع عنك هذه الافكار ولا تعظ الله . انت كرست له نفسك فلا يليق بك التفوه بمثل هذا الكلام . فصاح – ان اليأس ساقني الى هذه الغلطة الفظيعة . ومن حسن الحظ ان خطاي قابل الاصلاح . قبلاً كنتِ مرتبطة برجل فلم ارَ للحياة معنى . اذ ذاك اودعتُ السماء سري ولم ارَ سبيلاً للتصريح باماني واحلامي . اما الان فانتِ حُرّة غير مقيدة بعهد واصبحتُ واثقاً بتحقيق آمالي . ولما قال هذا خطف يد الاميرة وقبلها بشفاه حارة . وفي هذه اللحظة فُتح الباب ودخلت الخادمة وفي يدها رسالة . فاجفلت الاميرة وسحبت يدها بعنف

ورجعت الى الوراء . وبعد ان تناولت الرسالة من الخادمة وصرفتها قالت بلهجة العتاب — أ رأيتَ عاقبة الطيش ؟ الا تكفي المغامزات في المنزل والتخرصات في المدينة كلها ؟ قال — مالنا وللخلق اجمع ؟ كلمة منكِ تكفي للجم افواه الجميع الا اذا كان يشق عليك مفارقة لقب الاميرة . . . فقاطعته بجدة وصاحت — كفى . انا لا اريد ان اسمع مثل هذا الهذر ولا استحسن اجتماعنا في منزلي وارجو منك ان لا تفاتحني مرة اخرى بمثل هذا الحديث الذي يهينني ويزيد مصابي

ومضى اندري الى ديره وكانت ليلة لم يذق فيها طعم الكرى . وفي صباح الغد بعث الى الاميرة برسالة تشفُّ عن خوف في نفسه يلتمس فيها الصفح ويستعطفها ان ترق له ولا تحرمه من المجيء اليها . فاجابته انها تعتبره كثيراً وتشكر له ما ابداه من الخدَم لها في تخفيف مصابها . غير انها لا تستحسن زياراته لها في منزلها لئلا يكون ذلك داعياً للقيل والقال وفي الختام قالت — نقدر ان نلتقي في الكنيسة او الشارع او في اي محل آخر ما عدا منزلي . فسُرَّ اندري بذلك وقال في نفسه — انها تعين لي محل اللقاء . اذاً هي تحبني وكل ما يبدو منها من عناد وغيره ضرب من صروب الغنج والدلال

ثم جعل يكاتبها طالباً بالحاح ان يزورها وهي كل مرة تجيبه ان كتاباته تكدر صفو عيشها وتزيدها هماً وغماً حتى دعته اخيراً لزيارتها كيما تردعه عن مسلكه الغريب . غير ان هذه الزيارة كانت وبالاً عليه. فبعد ان اقام عند الاميرة الى منتصف الليل وسمع نصائحها له بملازمة الدير والانصراف الى خدمة الله عاد الى ديره مُشرَّد الافكار تتقاذفه الهواجس . فصادف في الطريق رجلاً لا يعرفه في يده زجاجة من الزيت وكان ثملاً فصدم اندري ووقعت الزجاجة وانكسرت فصاح الرجل مستنجداً وما كان الا القليل حتى اقبل حارس الشارع وقبض عليهما وقادهما الى مخفر الحرس. واسفر الفحص في اليوم التالي عن خروج الراهب اندري من الدير ليلاً فراب الحكام هذا الامر وخصوصاً لانهم كانوا واقفين على ولعه بالاميرة فيرا وانعطافها اليه . ولما بلغ الامر المجمع المقدس لم يبقَ لاندري الا الابتعاد عن الدير معتذراً باشتداد

المرض عليه. وهكذا ترك الدير ومضى الى والدته واقام عندها

وكان للحادث الليلي في الشارع وما عقبه من ابتعاد اندري من الدير تأثير سيء في نفسه . وكانت تطرق اذنيه انباء مؤداها ان ما حدث في تلك الليلة المشؤومة كان بايعاز من الاميرة التي ملّت منه فعمدت الى هذه الوسيلة لاقصائه عنها . فكان يتصاعد الدم الى راسه ويشعر ان الياس يكاد يذهب بعقله . ولم يجسر ان يزور الاميرة لانها منعته منعاً باتاً . غير انه جعل يتقفى اثرها في كل مكان . ومرة اوقفها بالرغم عنها وطلب ان تصغي له . فبلغ منها الكدر معظمه وبعثت له برسالة تؤنبه فيها على سلوكه نحوها وعلى رسائله التي تحملها الاماً نفسانية لا تطاق وجعلتها ضعيفة نفساً وجسماً ولا سيما تلميحه الى انها ترغب عنه حباً الى الاقتران باحد النبلاء . وأقسمت له ان لا فكر لها بالزيجة بعد قرينها الراقد وان ما تبلّغه ما هو الا اخبار ملفقة يقصد بها هياجه وعذابه

وكان اندري يدرك سوء مسلكه فيندم على عمله ويستغفر الاميرة ثم لا يلبث ان يعود الى سابق عادته فتدب في قلبه عقارب الغيرة . فيتراءى له ان الاميرة ما صدقت ان مات زوجها حتى تقترن بغيره من طبقته وانها اوعزت الى احد رجالها ليهينه فتنجو منه ومن حبه . وشعر في داخله بنار الغيرة والبغضاء تتأجج نحو هذه المراة التي ما زال يعبدها وامست عواطفه تتراوح بين ما انغرس في قلبه من الحنان والحب وما انكشف له من الخديعة فلم يتمالك عن البكاء . واصبح لا يدري كيف يشغل وقته فكان تارة يجول في الشوارع شارد الفكر واخرى يقف ساعات تحت نوافذ منزل الاميرة فيرا وحيناً يدخل الكنيسة فيجثو على قدميه ويستغرق في تأملاته وطوراً يتناول كتاباً فيتلهى به ثم لا يلبث ان يطرحه جانباً . ولحظت امه هذه الاطوار الغريبة منه وما اورثه ولعه بالاميرة من الضرر فقالت له مرة — قد اضنيت جسمك يا ولدي فزاد سقمك وقد صحت عزيمتي ان امضي الان الى الاميرة لابسط لها حقيقة حالك . فقال اندري – كلميها يا امي كلميها . انتِ ترين مصابي فدعيها تعرف ما حلّ بي من السقم وما اعانيه من الشقاء لعلها ترقّ لحالي وتبلّ قلبي

الظمآن برضاها . . .

والتقت امه بالاميرة في احد الشوارع واخبرتها عن تعلق ابنها بها وطلبت منها ان تشفق عليه وترق لحاله وتعود الى انعطافها نحوه . فرفعت الاميرة كتفيها ازدراء وقالت — اني اعتبر ابنك واتمنى له كل خير واشفق عليه لكني لا اقبل زياراته لانه ازعجني بتصرفه ورسائله المتواصلة . . ماذنبي اذا كان هونفسه كثير الظنون يختلق ما لا يخطر لي ببال ؟

فهاج اندري لما سمع هذا الجواب ووقع في حزن شديد ويأس مفرط وثبت لديه انها اعرضت عنه بعد حبها له ولم تعد تشفق عليه . فصاح — انها تود التملص مني حباً الى القران . . . ولكني لن اتنازل عن حقوقي . ثم مضى الى احد باعة الاسلحة واختار خنجراً صغيراً فابتاعه ووضعه في جيبه ثم قصد منزل الاميرة فاعترضه البواب ومنعه عن الدخول . فشعر كأن افعى لسعته وقال — اني في حاجة الى مواجهة الاميرة فبلغها ذلك . فاجاب البواب بلهجة الاستخفاف — أُمرتُ ان لا ابلغها عنك شيئاً وحسناً تفعل ياسيدي لو كففت عن زياراتك . فكاد اندري يهجم عليه ويخمد انفاسه لكنه كظم غيظه ومد يده الى جيبه ولمس مقبض الخنجر فشعر بوجوده . وكأن ذلك سكن اضطرابه فترك منزل الاميرة ومضى الى بيته وفي احشائه نار تتاجج وكان يقول في نفسه — يا شقية ستكفرين عن حبي وآلامي وسيكون التعويض هائلاً . ثم تناول الخنجر وتامله ملياً وطرحه في زاوية الغرفة وارسل يطلب من الاميرة ان تسمح له بوداعها لان المرض قد بلغ الدرجة القصوى منه وبات على حافة القبر . فترددت الاميرة كثيراً ثم رات ان الواجب المسيحي يقضي عليها بقبول طلبه فركبت عربتها مع احدى وصيفاتها فاقلتهما الى منزل اندري . فتركت وصيفتها في ردهة الاستقبال ودخلت هي الى حيث كان اندري فهرع لملاقاتها فرحاً واجلسها على كرسي ووضع تحت قدميها كرسياً صغيراً وجلس بازائها . فنظرت اليه ورات وجهاً مصفراً نحيلاً وصدراً خافقاً وكان منظره اشبه بوجوه الاموات منه بالاحياء . فقالت — قد اقلقتني برسالتك الاخيرة . مالي ارى

المرض يتمكن منك ولا تلجا الى طبيب ليعتني بك ؟ فاجابها بصوت متقطع — لا يقدر غيرك ان ينقذني من سقمي . علتي نفسانية لا ينجع فيها دواء . انت جرحت قلبي بدون شفقة ولا تدرين . انت تحتقرين هذا الزاهد الذي اهين وطُرد من الدير وتريدين موته ايتسنى لك الاقتران باحد الاشراف الذين يرغبون فيك حباً بثروتك لا عقلك وقلبك وجمالك . . . فكظمت الاميرة الغيظ وتذرعت بالصبر وقالت — انك غير مصيب بتحاملك علي ولا يليق بك ان تنسب الي مثل هذه الامور التافهة . اكرر امام والدتك اني بعيدة عن هذه الافكار ولم يخطر في بالي الاقتران باحد بعد زوجي الذي كنت احبه من صميم القلب . وباي حق جعلتني كل هذه المدة هدفاً لمثل هذه التهم المهينة . قال — باي حق ؟ بحق قلبي الذي ذاب من الحب . انت ايتها الاميرة . انت اوصلتني الى شفير هوة هائلة ولم يبقَ لي سوى الاختيار بين امرين فاما الحياة معك واما . . . اني احبك ايتها الاميرة فافهمي . ما ذنبي اذا كنتُ لا اهوى الاك ولا اقدر على الحياة بدونك يوماً واحداً ؟ . . قال ذلك وانطرح على قدميها والقى على ركبتيها وجهه المبلل بالدمع المنهمر وجعل يقبل ثوبها ويقول معولاً — انت تيمت قلبي وسلبتِ ارادتي . عفواً يا اميرة اني لا اندب سوء حظي ولا اتذمر بل اتوسل . . . اتوسل اليك ان لا تبتعدي عني . الربيع على الابواب وانت لا شك راحلة الى مصيفك فاسمحي لي ان اقضي مدة الصيف المقبل عندك . هذه امنيتي العظمى ولا اطمع بسواها . فابعدته الاميرة بعنف وقالت بجفاء — ان هذا لا يكون ابداً . كفاني شقاء وعذاباً من تدلهك . يجب ان نفترق ولهذه الغاية نفسها قد اتيت الان . فنهض اندري ونظر اليها بعينين متقدتين وقال يائساً — اتيت لوداعي ؟ لمَ هذا الجفاء وبم اسات اليك حتى اعرضت عني بعد الحب ؟ فقالت وقد فرغ صبرها ـ انك لم تدرك افكاري قط . من اوحى اليك اني احبك . اني كنت احترمك كما احترم غيرك من رجال الدين وارغب في الحديث معك في امور الدين التي تصبو اليها نفسي . كنت اشفق عليك نظراً لسقمك ونحول جسمك وانحطاط قواك . ولكني سئمت الفتك ونفرت منك حالما تركت

الدير وانهلت علي برسائلك المملة . دع عنك الاوهام يا اندري وكفّ عن هذا الحديث . ثم همت بالنهوض فقبض على يديها وصرخ ـ استحلفك بالله ان لا تنصرفي اني لا احيا الا برؤياك . تمهلي قليلاً . او لم تدري ايتها الاميرة اني احبك وان رب السماء خلقك لاجلي . فرفعت كتفيها وقالت ـ انك ترعجني وترعج نفسك بتصرفك هذا . فتنهد وقال ـ شيئاً واحداً التمسه منك ـ لاتتركيني . دعيني اراك واسمع صوتك لاني هائم بك افلا تشفقين علي . . . فدفعته عنها بكل خشونة وقالت ـ اني لا اقدر ان امنعك او امنعِ غيرك من الهيام بي ولكن لا تنس يا رجل اني لا احبك ولا اقدر ان احب احدا من البشر بعد زوجي

فسحب الخنجر من تحت ثوبه وصاح ـ اذاً سانتحر بهذا الخنجر تحت نوافذ منزلك . فارتعشت الاميرة وامتقع لونها وشعرت بجسمها يرتجف وقالت بصوت لا يقبل المراجعة ـ سئمتك نفسي ايها الرجل . اني اكرهك وامقتك ولا اريد ان اراك . قالت ذلك ومضت الى حيث كانت الوصيفة بانتظارها . فنهض اندري ووقف متهادياً على قدمين تكادان لا تحملانه . وقد تجلت في وجهه ملامح الهيام والالم والشر . وشعر كأن ضبابة دموية انسدلت على بصره . ثم هجم على الاميرة كأن قوة جديدة دبت فيه وصرخ بصوت دوت له جوانب البيت ورفع يده فلمعت شفرة الخنجر وما هي الا لمحة نظر حتى تخضب جيد الاميرة بالدم المتدفق . وكأن اندري لم يدرك ماذا جرى فحمل الاميرة على يديه وضم شفتيه الى فمها البارد . وكان جسمه ينتفض وهو يقهقه متولهاً ويكرر ـ انت لي . . انت لي ولا ينتزعك مني احد . . .

فجعلت امه تصرخ منادية الناس وهي تكاد تجن من الخوف وهجمت وصيفة الاميرة فاختطفت من يده الخنجر . وكانت قطرات الدم الحارة لا تزال تسيل منه . . وحدث رد فعل في اندري فتلاشت قواه وهوى جسم الاميرة من يده الى الارض والدم يسيل منه بغزارة . فانحنى اندري وجعل يمسح الدم عن شفتيها بمنديله ويقبلها ثم نهض والتفت فراى حوله جمعاً فقال بصوت كان يعلو شيئاً فشيئاً بين حشرجة

الاميرة وعويل الاخرين: ابانا الذي في السماوات ... ليتقدس اسمك ... ليات- ملكوتك ....

وكانت يده ترسم الصليب على جثمان الاميرة البارد ......

وحكم القضاة على اندري بالاشغال الشاقة في سيبيريا غير ان المنية وافته قبل ان يبلغ مدينة كازان فمضى الى ربه ليسمع حكمه العادل...

* * *

فلتتق الله الغادات اللواتي يمنين الرجال بالسماح لهم في التودد اليهن ويخلبن عقولهم بلطفهن حين ليس هناك عاطفة حب . لا بل ليتعلم الرجال من هذه الحادثة ان لا يثقوا بابتسامة يؤولونها الى غير المقصود منها فتكون العاقبة وخيمة عليهم . غير ان المولف اشار من طرف خفي الى مراعاة قضاة ذلك العصر لاحوال الحياة النفسانية وايجاد مخرج لجنايتهم يخفف ثقل الجريمة او يبررها فاعرضنا عنه تاركين الحكم في ذلك للقارئ اللبيب

(الناصرة) انطون بلان

الزوجة[١]

(للكاتب الاميركي الشهير وشنطن ارفن)

سنحت لي الفرصة ان الاحظ كيف تثبت المرأة متى احاطت بها المحن واكتنفها البلاء وقلب لها الدهر ظهره . فبينا يكون رجلها قد بلغ منه البلاء مجهوده فخانه جلده وفارقته شجاعته تتصدى هي للشرور فتقاومها وتقابل الزمان غير وجلة ولا هيابة فلا يهولها شأنها ولا يغرب عنها ذهنها بل تستحيل سجاياها فتسمو وتتغير صفاتها فتعلو . وان تلك

١) عن الانكليزية بقلم سامي افندي زعرب

التي كانت الضعف مجسماً والعجز ظاهراً ابان اليسر نراها وقد اعارتها الشدائد قوة وزادتها النوازل شجاعة ابان العسر فعظم عقلها كالبحر لا يدرك غوره وصارت المعين لزوجها على الخير كله والمؤاسي على ما نابه من المكروه ثابتةً في موقفها هدفاً للمصائب وغرضاً للنوائب

فما اعظم العناية وما اعظم اعمالها فانها قد رأت ان الرجل لا يقدر ان يقوم بواجباتهِ في المجتمع وحده لوجود النقص فيهِ فخلقت المرأة لتكملهُ وتسد ذلك النقص فيهِ وتكون مستندة اليه وزينة له اوقات سرائهِ وركناً وتعزية له اوقات ضرائهِ فتزيده جمالاً وقت هنائهِ وتضمد بحنو قلبهُ الكليم وقت شقائهِ كالكرمة تلفُّ اوراقها حول البلوطة لتحملها هذه فتريها شعاع الشمس وعندما تزعزع العاصفة جذور تلك الشجرة العظيمة تربط الكرمة بعطفاتها الطرية اغصان البلوطة المخلّعة

هنأتُ مرة صديقاً لي باسرة له هي عين الوفاق والوئام فأجابني على الفور: «ان الزوجة الصالحة ايها الصديق لا يعادلها شيء فهي عون على امر الدنيا والاخرة والاولاد ان برُّوا فهم لآلئ هذه الحياة وليس بوسعي ان أتمنى لك نصيباً افضل من ان يكون لك زوجة واولاد يشاركونك رخاءك ويناصفونك بلاءك» . وهذه حقيقة لا ريب فيها فالرجل المتزوج يقدر ان يستردّ مركزه في المجتمع ان خسره لان الواجب يقتضيه القيام بحاجات الكائنات المحبوبة التي حواليهِ . فله من محبتهِ ما ينبههُ متوانياً ومن تودد عيلتهِ ما يعزيه يائساً وان اظلم العالم خارجاً وكان هو فيهِ ذليلاً فله من زوجتهِ واولاده دائرة صغيرة نيرة يحكم فيها غير مقيد لانهُ رب

البيت . اما العزب فعرضة للتلف والسقوط ليس له من يقيله من عثرتهِ ان عثر لكونهِ وحيداً في معترك هذه الحياة فيدب اخيراً اليأس الى قلبهِ كالبيت المهجور اذا لم يوجد من يسكنه

اما ما حداني على الكلام في هذا الموضوع فقصة صغيرة اتفق لي ان شاهدت وقائعها وهي ان صديقاً حميماً لي يقال له لسلي تزوج من فتاة عاقلة جميلة كريمة الحسب والنسب ولم تكن ذات مال الا ان صديقي كان وافره فلم يبخل عليها بشيء مما تميل اليهِ النفس وتهواه بل القى لها الحبل على الغارب باتباع ما تصبو اليهِ من الملاهي والملذات. وكان الحب متبادلاً بين الزوجين لا تزيده الايام الاّ قوة واشتداداً وقد استقرّت لهما حياة السعادة والهناء

ولكن هي الدنيا لا تزال في تصرف وتقلُّب لا يدوم فيها شيء ولا يلبث معها امر . فبينما الزوجان يتلذذان بحياتهما السعيدة نزلت بالرجل نازلة مالية افقدته كل ثروته وامسى معدماً فكتم امره عن زوجته وفي صدره نار آكلة من الهم والحزن وكان اذا دخل البيت او جلس الى زوجتهِ يظهر بشاشة وسروراً غير ان ماري لم تخدعها هذه البشاشة ولم يغرب عنها هذا التكتم لانها قرأت حقيقة حاله في تنهداتهِ العميقة ونظراتهِ الشاردة فعزمت على رده الى ما كان عليهِ من الحبور فزادتهُ تعساً من حيث لا تدري فكان كلما رأى منها ذلك يعتريه الحزن ويزداد لوعة عليها ظناً منهُ ان فقره سيحملها ما تنوء تحته فيفارق الابتسام ثغرها ويطفئ البكاء بريق عينيها . ولما اشتد بهِ الحال جاءني فأنبأني بامره وما صار اليهِ طالباً مني

ان اتدار كه بنصائحي فسألتهُ ان كان قد اخبر زوجتهُ واخذ رايها فقال ان الفكر بما سيؤول اليه امر تلك المسكينة هو ما أنحل جسمي واشقاني وربما ادى بي الى الجنون فكيف لي ان اصعقها بمثل هذا الخبر الاليم . قال هذا وانهملت دموعهُ . فانفطر قلبي حزناً عليهِ وقلت انك لفي ضلال مبين ايها العزيز لان احمد الناس عقلاً مَن اذا نزلت بهِ النازلات كان لنفسه اشد ضبطاً واكثر استماعاً لاهل النصح حتى ينجو منها بالبحث والمشاورة وحقيق بك اخبار امرأتك قبل كل انسان فتمدك برأيها وتبدي لك نصحها وان انت لم تكاشفها الخبر الان وقع عليها بعدئذ بشكل مفزع مخيف لانك لا تستطيع ان تخفيه عنها طويلاً واعلم ان الهم والحزن لا يردّان شيئاً مقضياً اما كلمات الحبيب فتخفف اشد الويلات ولا يسعني السكوت عن تنبيهك الى انك تعرض اهم رُبُط المحبة للخطر ان بقيت كاتماً سرك عن زوجتك فالمحب لا يطيق ان يكتم حبيبهُ وإلفه شيئاً عنهُ اذ بذلك يبخس قدر محبته فتهان . فلما سمع كلماتي تنهد وقال اوّاه ان كلامك حقيقة لا استطيع انكارها غير اني بإباحتي لها الخبر اصرم حبل آمالها واحكم عليها بترك كل ما هو جميل وانيق في الحياة واسجنها معي في عالم الفاقة والخفاء . . . ان ذاك سيكسر قلبها ويسحق نفسها فتباً لهذه الحياة ما اشقاها . . قلت خفف عنك ايها الصديق ولا تستسلم لليأس فالرزايا اذا توالت تولت وعندي ان إنباء زوجتك بهذا الخبر الان هو عين الحكمة لانكما بذلك تتلافيان امركما ولا اظنك تحتاج قصراً فخيماً كي تعيش سعيداً معها لان السعادة في الحب لا في القصور الشامخة والترف المقيم . قال انى

اكون سعيداً مع ماري في احقر البيوت واقدر ان اهبط الى الحضيض والى التراب ان كانت معي ولكني لا اقوى على كسر قلبها بمثل هذا الخبر الشديد. قلت ولكن لا بدَّ من اطلاعها عليهِ واعلم ان هذه المصيبة ستظهر نفس زوجتك العظيمة وروحها الكبيرة فيشتد شعورها وتسر لانها ستبرهن لك باجلى بيان انها قبلتك وتزوجت بك لنفسك لا لثروتك. ان في كل امرأَة ايها العزيز شعلة سماوية تبقى خامدة فيها وقت النجاح ولكن متى هبت عواصف البلية تذري عنها الرماد فتشتعل وتضطرم وتتأَلق وسط الظلام المحدق بها. بل ان المرأة ملاك حارس للرجل ودرة يتيمة في حوزته وهو لا يعرف ثمنها الا اذا دخل واياها اتون هذا العالم المضطرم... قال حسن فسأرى. ثم ودعني وانصرف لشأنه

ورأيتهُ في اليوم التالي آتياً اليَّ فهلع قلبي وطارت نفسي شعاعاً الاَّ اني تجلدت وسالته عما جرى فقال شكراً لك ايها الصديق فقد نصحتني فنفعتني لانك سدَّدت قدمي الى اقوم السبل واخرجتني من احرج المواقف. فقد عدت بالامس الى بيتي وانبأت زوجتي بجلية الخبر ونفسي تكاد تنشق الماً. وكانت ماري تنظر الي بوداعة الحمل وتظهر الارتياح الى كلامي ولما فرغتُ طوقتني بذراعيها وقبلتني مراراً وسالتني ان كان هذا هو كل ما اقلقني موءخراً. نعم انها لم تظهر الألم كما انتظرتُ غير ان سكوتها يخيفني فهي لا تعرف عن الفقر الا ما قرأته في الاشعار والروايات حيث يذكر ممتزجاً بالحب او مسبباً عنه ولذلك فهي لم تفهم

الحالة التي صرنا اليها الا متى جربتها بالفعل وهناك الألم والشقاء . قلت لا الم ولا شقاء في ذلك فكن حازماً شجاعاً في امرك ولا تخشَ باساً فقد اجتزت باباحتك لامراتك هذا السر اوعر عقبة في سبيل الاقتصاد بمعيشتكما فاسرع الان باذاعة ذلك للناس فتجرد الفقر من احدَّ سلاحهِ

وبعد ايام قلائل زارني لسلي في بيتي واخبرني انهُ بالاتفاق مع زوجتهِ قد باعا اثاثهما الفاخر وكل ما يملكان وابتاعا كوخاً في ضواحي المدينة اقاما فيه وقد نسيا الماضي باسره واخلدا الى السكينة في وسط تلك الطبيعة الهادئة . قلت وهل اظهرت زوجتك شيئاً من التذمر من حالتكما الحاضرة ؟

قال انها منذ حلت بنا هذه المصيبة لم تفتأ من تسليتي وتسرية همومي كانها قضت كل حياتها في هذا الكوخ لا تعرف شيئاً من ملاذ الدنيا وزخارفها . قلت اكرم بها من زوجة فاضلة وكيف تسمي نفسك ايها الصديق فقيراً وعندك هذه الحرة الكريمة والدرة اليتيمة . انك لم تكن قط بغناك اليوم لانك لم تكتشف قبل الان مثل هذا الكنز العظيم . وارجو ان تأذن لي بمرافقتك الان الى بيتك الجديد لأرى فيه هذه الملكة الكريمة . قال هيا بنا فسترى الان بعينيك كيف تذوق الحرَّة مرارة الفقر بعد حلاوة الغنى . ثم قمنا وسرنا في طريق بيتهِ ولما اشرفنا عليهِ رأَيت كوخاً جميلاً تحدق بهِ مغروسات جميلة تشهد بذوق الذي رتبها . ولما صرنا على مقربة منه سمعنا صوتاً رخيماً يغني لحناً شجياً كان صديقي مغرما بهِ فامسك بذراعي ووقفنا هنيهة مصغيين كاننا أُخذنا الى عالم آخر نسمع

فيه صوت الملائكة لا صوت البشر . ثم انقطع الغناء وخرجت ماري لاستقبالنا وهي بثوب ابيض بسيط وقد استرسل شعرها الاسود على كتفيها واشرق وجهها الجميل ولم تلبث ان دعتنا للجلوس وكانت قد اعدت مائدة بسيطة تحت شجرة جميلة وراء الكوخ وضعت عليها بعض المآكل البسيطة فجلسنا الى المائدة وانا اشعر بسعادة داخلية لا توصف وكانت هي تظهر سرورها بهذا الكوخ وتقول لزوجها سنكون يا عزيزي سعيدَين هنا . . .



في ذلك القفر – حيث السكينة سائدة والطبيعة في احسن حللها تمثل مشهد فخيم .. وعى لسلي كلام زوجتهِ فشخص اليها ولم يتكلم .. نابت زفراتهُ عما طواه الجنان واعربت عبراتهُ عما خالج فؤاده بافصح بيان . ثم هجم عليها فجذبها نحوه وعانقها طويلاً . . . سادت السكينة ثانيةً ونابت العيون عن الالسن .. فطأطئوا رؤوسكم احتراماً لهذا المشهد المهيب . . .



بيض الفصح [1]

(تلوين بيض الفصح – التفنن في زخرفته – اهداوءه)

تلوين بيض الفصح . لامشاحة في ان عادة تلوين بيض الفصح لَقديمة جداً يُعزى تاريخها الى ما قبل المسيح باجيال . ومما يُروى ان الوثنيين

(١) من كتاب مخطوط لحضرة موقعها عنوانه «الروضة البهية في بعض العوائد الشرقية»

كانوا يكرسون يوماً من سنتهم ليحتفلوا فيه ببدء الربيع . وكانوا يصرفونهُ بين اللهو والقصف واللعب والرقص ومن جملة عوائدهم في هذا اليوم تلوين البيض اشارةً الى مناظر الطبيعة المدبجة بالازهار على اختلاف انواعها والوانها. بيدَ اننا لم ندرِ متى أُدخلت هذه العادة في الديانة المسيحية وانتشرت بين معظم المسيحيين. ومن اغرب ما يُقال في هذا المعنى ان بعض المسلمين والاسرائيليين واهل الشيعة (المتاولة) يستعملون عادة تلوين البيض في ايام معلومة عندهم . ومهما يكن من الامر فالمخيلة المسيحية قد وضعت لهذه العادة المشكورة تقاليد شتى لا بُدّ من ذكرها بما فيها من الفكاهة والافادة . فالبعض يرتئي ان القديسة مريم المجدلية بعد وفاة السيد لهُ الاكرام وقيامتهِ قصدت رومية المدينة الشهيرة اذ ذاك رغبةً في مواجهة القيصر . فمثلت لديه وشكت له قساوة بيلاطس والي اليهودية نحو سيدها وكانت عبرات الحزن والتلهف تجري على وجنتيها. واشارةً الى دم السيد الذي أُهرق من اجلنا قدمت له بيضة حمراء . فطيب القيصر قلبها الحزين ووعدها حسناً بالاستقصاء عن هذا الامر ومحاكمة المعتدين

ويزعم اخرون ان احدى الانسات الاسرائيليات اتفق ان تحمل في حجرها عدداً من البيض وتمر بصديقة لها مسيحية. فبادرتها الثانية بالسؤال الاتي : اتعلمين ايتها الصديقة ان سيدنا له المجد قد قام من الاموات ؟ فاجابتها الاسرائيلية : لم اصدق ذلك ان لم يتلوَّن ما في حجري من البيض. وهكذا كان

وقال غيرهم ان الاسرائيليين يوم كان السيد مسوقاً من الجند الى الصلب اعطوا اولادهم بيضاً ليرشقوه بها محبةً في اهانته . فكان اذا همّ الولد برشق البيضة تلونت بين يديه فابقاها حرصاً على لونها دون ان يرشق بها السيد البريء . فتذكاراً لتلك الحوادث التقليدية استخدم المسيحيون تلوين البيض . ومع تراخي الايام وتعاقب الدهر تفننوا في ذلك على طرقٍ شتى كما ترى . وزد على ذلك ما في تلوين البيض من الدلالة على الفرح والسرور ايام الاعياد ولا سيما يوم عيد قيامة السيد المجيد

وربما كان المسيحيون يرمزون عن دفن السيد له المجد وقيامته باستخدام بيض الفصح لما في ذلك من المشابهة الخارجية والمماثلة العرضية . فقيض البيضة (قشرتها اليابسة) الشبيه بالرمس يحتوي على جسمٍ حي قوةً فيتولد منها فرخ اذا توفرت للدجاجة شروط طبيعية لا مناصَ منها . وفي العادة المألوفة عند بعض المسيحيين حتى عهدنا هذا ان يكتبوا على البيضة شعار العيد المجيد بظفر الرب وقيامتهِ من بين الاموات «المسيح قام» اشارة واضحة الى هذا الرمز

التفنن في زخرفة بيض الفصح . ولم يقتصر المسيحيون على مجرد تلوين البيض بالالوان المستعملة فتطرقوا من هذه العادة البسيطة الى ما وراءها وابدعوا في نقش البيض وتصويره وزخرفتهِ . فالباريسيون مثلاً لهم يد طويلة في تصوير البيض والتفنن فيه وكفى برهاناً ساطعاً على ذلك ذكر كل من مصوّريهم Lancret وWatteau اللذين اشتهرا بامر تصوير البيض وزخرفتهِ . على ان القدسيين وقاطني بيت لحم اليهودية وبيت جالا وغيرها من

ضواحي اورشليم لهم مزية خاصة في زخرفة البيض. فبعد صبغها بلون احمر ضاربٍ الى السواد ينقشون عليها رسم قيامة السيد ويدبجونها بازهار وتعاريج متعددة ويكتبون عليها غالبًا بالعربية واليونانية والروسية: «المسيح قام» هذا فضلاً عما يستحضره باعة السلع الكنسية من روسيا وغيرها من البيض الاصطناعي فزخرفتهُ تاخذ بمجامع الفؤاد بما فيها من دقة الصناعة وجودتها. وقد اعتاد بعض آنسات القدس وسيداتها ان يثقبن البيضة بثقوب صغيرة فيتمكنَّ اذ ذاك من اخراج آحها (بياضها) ومحها (صفارها) وتنظيفها وبالابرة العادية يطرزنَ عليها اشكالاً كثيرة لافائدة من ذكرها. فهذا النوع الاخير من البيض قليل الكلفة ولكنه حسن المنظر يرغّب بالاقتناء به لتزيين بيوت العامة والخاصة

<u>اهداء بيض الفصح</u>. بقي الكلام على اصل هذه العادة وهو مما لم يتوصل الباحثون الى معرفتهِ على وجه يمكن الجزم به. فنرجح انَ هذه العادة قديمة بدليل انتشارها في بلاد فارسٍ ولم تزل مرعية الجانب عندهم الى عهدنا هذا. وقد اتخذوا لذلك عيدا سموه بعيد البيض وهو اليوم العشرون من اذار اي رأس العام الجديد. ولا يغرب ان هذه العادة انتقلت الى المسيحيين القدماء فعمت معظم الاقطار النصرانية. ولا نكير أن الديانة المسيحية مثلما هي عليه الان تشتمل على كثير من العوائد الوثنية والعبرانية غير ان المسيحيين قد تصرفوا فيها حسبما اوحت اليهم الشؤون وسلمونا اياها بهيئة جديدة لا يشاهد فيها اثر وثني. ولا نقصد باثبات ذلك الا بيان ما هو حريٌّ بالذكر لما فيه من الصحة التاريخية فان

بعض المولعين بدرس عوائد الشعوب وتأويلها قد عللوا لنا عن عادة اهداء البيض كما ترى : ان الكنيسة المسيحية شرقها وغربها كانت منذ القديم تنقطع في اثناء الصوم الاربعيني عن تناول اللحم والبيض واللبن وغيرها كما هو جارٍ اليوم بين الشرقيين . فاخذ المسيحيون يتهادون البيض المسلوق يوم العيد السعيد لتعذر اهداء غيره من المآكل . هذا وقد ترك لنا احد الادباء الافرنسيين وصف ما كان شائعاً في باريس في القرن الثالث عشر وما فوق من العوائد البهجة يوم عيد الفصح واهداء البيض فيه الى ان قال : ان عادة اهداء البيض الطبيعي لم تزل مستعملة حتى يومنا هذا . غير ان الباريسيين استعاضوا عن البيض الاصطناعي بالملبس والُلعب وما شاكلها . ويحسن بنا ان نلاحظ في هذا البحث ان القدسيين ليلة الجمعة العظيمة يستحضرون الى الكنيسة كمية من البيض المسلوق الملوَّن في كيس صغير ضمنه قشر من المحاب وقطع من الشعانين المباركة . فبعد ان يقرأ عليها الكاهن الاثني عشر انجيلاً المعروفة بأناجيل الالام حسب الطقس اليوناني يعيدها اصحابها الى بيوتهم ويوزعها كبير المحل على اعضاء عيلته نهار عيد الفصح بعد قداس الهجمة . فهذه العادة التقوية معروفة عند جمهور القدسيين غير انها مرعية الجانب بين القايلين منهم لاسباب معلومة لا ضرورة الى نشرها

نجيب ميخائيل ساعاتي القدسي
(دكتور في اللاهوت)



شرلوك هولمز [١]

= حادثة الدائرة الحمراء =

قال الدكتور وطسن: بينا كنت يوماً جالساً مع صديقي شرلوك في منزله كعادتي اقرأ جريدة الصباح اذا بامرأة تدعى المسز ورن قد دخلت علينا وبعد ان طارحتنا السلام قالت لشرلوك لا اخالك تجهل حالتي وما انا عليهِ من شظف العيش وضيق ذات اليد فانا اسكن مع زوج لي وننفق على انفسنا من الدريهمات القليلة التي يكسبها زوجي من شغلهِ وهي لا تكاد تدرأُ عنا سهماً واحداً من سهام الفاقة والعوز. ومنذ عشرة ايام جاءنا رجل لا اعرفهُ وطلب ان نؤجره غرفةً في منزلنا فقلت له اننا نجيبهُ الى طلبهِ بشرط ان يدفع لنا اجرتها خمسين شلناً في الاسبوع. قال انهُ ينقدني ليس خمسين شلناً فقط بل خمسة جنيهات اذا اتفقت معهُ على الشروط الاتية وهي ان اسلمهُ مفتاح المنزل والغرفة وان نتركهُ وشأنه في غرفتهِ لانه لا يحب ان يزعجهُ احد لما هو عليه من شدة الارتياح الى الوحدة. ولما كنتُ على جانب عظيم من الفقر وافقتهُ على شروطه وها قد مضى الى الان عشرة ايام دون ان اراه غير اني سمعت وقع اقدام اول ليلة في فناء الدار قبيل الساعة الثانية عشرة . . . فقاطعها شرلوك قائلاً ومَن يأتيهِ بالطعام. فاجابت عنده جرس يقرعهُ لنا فنضع له طبق الطعام على كرسي بجانب باب غرفتهِ واذا اراد شيئاً اخر رسمه

١) بقلم توفيق افندي ايليا زريق

باحرف كبيرة مطبعية على مثل هذه الاوراق وقد أحضرتُ بعضها معي لأربكها عليها تساعدك في حلّ هذا المعمّى الذي اقلقني وسلبني راحة النوم. فأخذ شرلوك الاوراق منها ولم يتفرس فيها الاّ قليلاً حتى ارتسمت على وجهه امارات الذهول والتعجب ثم قال لي اعلم ياعزيزي وطسن ان المسألة لا تخلو من الاهمية لان من يعتزل الخاصة والعامة ويطبع ما يريده على الورق خوفاً من ان يُعرَف خطهُ ويفتضح سره لا يكون الاّ شيطاناً رجيماً . ثم التفت الى المرأة والقى عليها عدة اسئلة عن صفات الرجل فعلمنا منها انه رجل معتدل القامة حنطي اللون ذو لحية مائلة الى السواد له من العمر نحو ثلاثين عاماً ويحسن التكلم باللغة الانكليزية الاّ ان لهجته تدل على انه ليس انكليزي الاصل وانه يرتدي ثيابه على الزي الاوروبي وهو يكنس غرفته وينظفها بنفسه . فاطرق شرلوك قليلاً ثم نهض عن كرسيهِ حائراً مضطرباً وبعدما فكر هنيهة قال لي لم احصل على تفاصيل كافية أتخذها محوراً لبحثي . وما اتى على اخر كلامه حتى أخرجت المسز ورن غلافاً من جيبها قائلة قد احضرت هذا معي لما سمعتهُ عن ميلك الشديد الى فحص الاشياء الطفيفة واستدراك اشياء هامة منها وأحضرت ايضاً هذه النسخة من جريدة الدايلي غازيت التي تأتيه يومياً . فاختطف شرلوك الغلاف من يدها وفضهُ فوجد ضمنه بقية لفافة تبغ صغيرة فأكب على فحصها ثم قال بتعجب أن الذي دخن هذه اللفافة شخص حليق الوجه لانهُ لو كان ذا لحية كما تقولين لما تمكن من استعمالها الى هذا الحد . فقلت لعل عنده قصبة . قال لا لان طرف اللفافة مسطح وآثار اللعاب عليه

ويتراءى لي بانّ في الغرفة شخصين لا شخص واحد . فقالت المرأة لا يمكن ذلك لان ما ارسله له كل مرة من الطعام قليل جداً لا يكاد يكفي شخصاً واحداً . قال انصح لكِ ان تصبري الان واذا حدث اي حادث فاخبريني للحال . ثم ودعتنا وانصرفت . فقال لي شرلوك ان امر هذه المرأة اهمُّ مما تصورت اولاً وقد ثبت لي ان قاطن الغرفة الان ليس مستأجرها . قلت وما الذي حملك على هذا الظن . قال لنترك بقية اللفافة جانباً ونتأمل قليلاً في كلام المسز ورن . علمنا ان المستأجر لم يبرح الغرفة سوى مرة واحدة وذلك في اول ليلة ثم رجوعه بنفسهِ في منتصف تلك الليلة والكل نيام يترك لنا وجهاً للشبه وليس لدينا براهين او ادلة تؤيد لنا ان الذي رجع في تلك الليلة الى الغرفة هو نفس الشخص الذي غادرها . وايضاً ان الذي استأجر الغرفة من المسز ورن تكلم اللغة الانكليزية جيداً والذي يسكنها الان فضلاً عن انقطاعه اليها يرسم اسماء الاشياء التي يريدها على مثل هذه الرقاع ليخفي جهله الانكليزية وقد رأيت على احداها كلمة Match اي علبة الثقاب مع انها يجب ان تكون Matches وبعد الاغراق في البحث اتضح لدي ان الذي كتب هذه الكلمات كان ينقلها عن معجم انكليزي والمعجم لا يذكر الا المفرد وعثرت ايضاً على اثر ابهام على احداها . او ليس هذه الملاحظات كافية لتأييد ظني ؟ قلت ولاي غاية يا ترى ؟ فاجابني ضاحكاً ان هذا هو الحل الغامض عليّ . ثم تناول كتاباً ضخماً كان يدون فيه جميع الحوادث اليومية المتعلقة بالقتل والسرقة واشباهها فتصفح بعض صفحاته وبعدما

طرق الى الارض ملياً قال ان هذا المستأجر لا ترد عليه رسائل من الخارج ولا يزوره احد فله اذاً وسيلة اخرى يتخذها لمواصلة العلاقات وهي ولا شك بواسطة اعلانات تُدرج في الجرائد واذ قد انتهت الينا نسخة من الجريدة التي ترده فلنقرأها علنا نتوصل الى ما يساعدنا في شغلنا. ولما قال هذا تناول الجريدة واخذ يقرأ حادثة بعد اخرى الى ان وصل الى ما نصهُ: «تصبري . سنرى طريقة للمواصلة ج» وقد نشرت هذه الرسالة بعدما استاجر الرجل الغرفة بثلاثة ايام . فاستبشر شرلوك خيراً وطلب آخر ما جاءَنا به البريد من جريدة الدايلي غازيت المذكورة فناولتهُ اعدادها الاخيرة فقرأ في عدد اول امس «انني آخذ في تدبير طريقة صالحة للمواصلة فعليكِ بالصبر والحكمة اذ عن قريب تنقشع الغيوم ج» وقرأ في جريدة امس: «سنصل الى نتيجة مرضية وساحرر لك عاجلاً . واذا تمكنا من استعمال الرسائل الاشارية فتذكري ما اتفقنا عليه وهو ان حرف A واحد وحرف B اثنان وحرف C ثلاثة الخ ج» . ثم اخذ جريدة اليوم ولما لم يرَ فيها شيئاً من مطلوبهِ طرحها جانباً وقال لنصبر الى الغد علنا نجد رسالة جديدة وكان قد دنا وقت النوم فذهبنا الى فراشنا . ولما تنفس الصباح نهضت كعادتي واذا بشرلوك جالس بازاء النار وامامه على المائدة الدايلي غازيت بتاريخ ذلك النهار فقال لي انظر هذا الاعلان الجديد: «بيت كبير مسقوف بالقرميد ذو واجهات حجرية. الطبقة الثالثة . النافذة الثانية مفتوحة . عند هجوم الظلام ج» وبعدما اتمّ تلاوته قال اری من سداد الرأي ان ننطلق الى منزل المسز ورن لنقف

على تفاصيل المسألة ونؤيد معرفتنا بفحص المنزل . ولم يكد يفرغ من كلامه حتى رأينا المسز ورن داخلة علينا وهي تضطرب وترتعش مما دلنا على ان حادثاً جديداً اضطرّها الى المجيء في مثل تلك الساعة . ولما ملكت روعها قالت قد عيل صبري ايها المستر شرلوك واودّ ان اطلع رئيس الشحنة على ما جرى وقد أتيت الان لاخبرك وأستشيرك اولاً ولكن كلما يلوح في مخيلتي ما ألمّ بزوجي ... فقاطعها شرلوك قائلاً ومن الذي أساء اليه . قالت لا أعلم فقد خرج في هذا الصباح الى شغله في مورتون ولم يكد يخطو عشر خطوات حتى هجم عليه رجلان من ورائه فلفّا راسهُ بعباءة وحملاه الى عربة كانا قد احضراها معهما وذهبا بهِ مسافة ساعةٍ ثم طرحاه على الطريق بقرب همبتيد هيث ولما عاد الى رشده لم يرَ احدا بازائهِ فاستأجر عربةً أقلته الى المنزل وقد تركتهُ ملقىً على المقعد وأسرعتُ لاخبرك بالواقع. فقال هولمز وهل نظر الرجلين اوسمع حديثهما؟ قالت لا لانه كان فاقد الشعور . قال وهل تظنين ان لنزيلكِ علاقة بهذه الحادثة ؟ فاجابت على الفور نعم لاننا صرفنا مدة خمسة عشر عاماً دون ان يحصل شيء من مثل هذا . قال ان خطراً شديداً محدق بنزيلك وله أعداء في صدورهم حزازات دامية لا يشفيها الا الانتقام وقد انزوى اثنان منهم بجانب منزلكما حتى اذا خرج زوجك حسباه الغريم فاوثقاه وسارا بهِ تلك المسافة الطويلة ولما تحققا فشلهما اطلقا سراحه . وقد صرت الان في اشد الشوق لروءية هذا الرجل الغريب الاطوار المختبىء في منزلكما. قالت ليس الى ذلك سبيل لانه لا يخرج من غرفته

الا لتناول طبق الطعام في مواقيت الاكل بعد ان يتيقن خلوّ المكان . قال حسن فسنتربص انا وصديقي الدكتور وطسن في احدى الغرف المقابلة قالت نعم وبواسطة مرآة كبيرة اجعلها في الجدار يمكنكما ان تنظراه من مخبأكما . قال وفي اية ساعة يتناول عادة طعام الغداء . قالت الساعة الواحدة بعد الظهر . قال سنوافيك اذاً في الميعاد والآن نستودعك الله . وما حان النصف بعد الثانية عشرة حتى وجدنا انفسنا على سلم منزل المسز ورن فاشار شرلوك بيده الي بيت كبير من القرميد في الجهة المقابلة ففهمت قصده . ولما شعرت المسز ورن بوصولنا استقبلتنا بوجه باش فخلعنا احذيتنا وصعدنا بخفة الى الغرفة المقابلة لغرفة النزيل فألفينا كل شيء طبق المرام . ولم يطل امد الانتظار علينا حتى رأينا المسز ورن قادمة والطبق في يدها فوضعتهُ على كرسي بازاء الباب وعادت من حيث اتت وللحال سمعنا قلقلة المفتاح في القفل ثم فُتح الباب وظهر منه يدان نحيفتان تناولتا الطبق برشاقة عجيبة عن الكرسي وشاهدنا بعد هذه الحركة راس فتاة مطلاً من الباب وقدار تسمت علامات الخوف والارتعاش في محياها الجميل . وبعد ما القت بعض نظرات الى جميع اطراف المنزل اغلقت الباب واوصدته فساد السكون حيناً وللحال انسللتُ وصديقي من مكمننا عن السلم حتى بلغنا صحن الدار فألفينا المسز ورن بانتظارنا فقال لها صديقي اننا سنزورها مرة ثانية في المساء . وقفلنا بعد ذلك عائدين الى منزلنا وكانت قد انهكتنا كثرة الشغل فجلسنا نستريح قليلاً فرأيت شرلوك هائماً في اودية الافكار . ولم يلبث ان حدجني ببصره وقال لم يخطئْ ظني في ان المستأجر قد أسكن غيره

مكانه والذي يؤكد لنا خطر المسالة هو اتخاذ هذه التحفظات الشديدة فان المستاجر لقضاء شغل لا نعلمه ترك هذه الفتاة هنا دون معرفة المسز ورن فاستعملت رسم الكلمات على الورق لتخفي خطها الانثوي وجهلها اللغة الانكليزية وبما ان الرجل لا يقدر ان يزورها خوفاً من ان ينكشف امرهما ويعلم بهما اعداؤهما فقد استخدم الدايلي غازيت لتبليغها ما يشاء. قلت وما الباعث لهذا كله. قال ان في الامر سراً لابد من استطلاع كنهه ولا اخالك ناسياً علامات الوجل والاضطراب التي صبغت وجه الفتاة عندما فتحت الباب واخيراً ما اخبرتنا به المسز ورن عن الرجلين اللذين اوثقا زوجها حاسبينه ضالتهما. فهذه الادلة ترينا باوضح بيان ان في المسالة موتاً وحياةً واقول لك ايضاً ان اعداءهما لا يعلمون شيئاً عن تبادل المستاجرين. قلت ولكن ماذا يهمك من هذه المسألة وليس فيها ما يعود عليك بالربح. قال اني لا اشتغل طمعاً في الربح ياعزيزي وطسن بل لاني اجد لذة في هذا الفن. ولما اقبل الليل سددنا خطواتنا نحو منزل المسز ورن ولحسن حظنا كان القمر في المحاق فانسللنا تحت استار الظلام دون ان يشعر بنا احد ولما وصلنا جلسنا في ردهة الاستقبال المحاذية لغرفة الفتاة. وما هى الا بضع دقائق حتى ابصرنا في نافذة المنزل المقابل لنا شبحاً واقفاً وبيده شمعة منارة وكان يتطاول بعنقه ليتاكد بان الفتاة التي في الغرفة المجاورة لنا تراه. ثم اخذ يستعمل الرسائل الاشارية بتلك الشمعة. فقال لي شرلوك تنبه واياك ان تضيع حرفاً منها حتى اذا غلط احدنا يصلحه الاخر. فحرك الشخص الشمعة ذهاباً مرة واحدة

فقال لي شرلوك ماذا فهمت . فاجبت حرف A . ثم عقبها عشرون لمعة متضاعفة تشير الى حرف T ثم خمس لمعات الى الحرف E وهكذا الى ان كملت الكلمة وكانت « Attenta » بالايطالية اي كوني على حذر . وقد كررها ثلاث مرات دلالة على شدة التحفظ . ثم توارى عن نظرنا قليلاً واخيراً عاد فرأيناه يحرك الشمعة بسرعة عجيبة وعلمنا من تتبع اهتزازات النور ذهاباً واياباً انه يحذرها من الخطر القريب اذ الكلمة التي اشار اليها كانت « Pericolo » وقد كررها مرتين وفي منتصف المرة الثالثة انقطعت الرسالة بغتةً فوثب شرلوك من مكانهِ كمن لدغته افعى وقال لي والعرق يتحلب من جبينه لا ادري سبب انقطاع الرسالة على مثل ما جرى فان لذلك داعياً كبيراً والاحرى بي ان ابلغ رجال الشحنة عنها ولكن ارى فيَّ مانعاً يحول دون ذلك . فقلت وهل تريد ان اذهب وراء رئيس الشحنة بنفسي . قال يجب ان نمعن النظر في المسالة اولاً اذ ربما صاحب الرسالة يفعل شيئاً يعود الى نفع الفتاة ولكن هيَّا بنا ياوطسن نذهب ونتحقق كل شيء بأنفسنا . ولما برحنا الغرفة وسرنا الى جهة شارع « هو » ألقى صديقي نظرة الى منزل المسز ورن حيث كنا واذا بشبح الفتاة على النافذة مشرئبة بعنقها الى الامام تنتظر بفروغ صبر تجدد الرسالة فلم نكترث بها بل حثثنا الخطى الى منعطف افضى بنا الى مدخل الشارع وهناك ابصرنا رجلاً متكئاً على جدار وعند انعكاس نور المنزل على وجهينا نادى صديقي باسمه فعرفه شرلوك انه كريكسون رئيس الشحنة الانكليزي وبعد القاء التحية عليه قال له ما الذي اتى بك الى هنا . فقال اظن نفس الذي حملك

على المجيء. فقال شرلوك كنت اراقب الرسائل الاشارية وقد انقطعت بغتةً فهرعت مهرولاً لارى السبب واذ انك هنا فلا حاجة لتداخلي بهذا الامر. فصاح به كريكسون بل اصبر ايها المستر شرلوك فانه لا يلذ لي البحث ولا اجد قوة في حل هذه المسائل العويصة الا اذا كنت معي وبما انه لا يوجد سوى منفذٍ واحدٍ لهذا المنزل فقد اصبح الرجل في قبضتنا. ولما اتمَّ كلامه ضرب الارض بعصاً اعتضدها وللحال امتثل امامنا حوذي سوطه في يده فعرَّفه كريكسون بشرلوك وقد عرفه صديقي على الفور بانه المستر ليفرتون رئيس الشحنة الاميركي وبطل حادثة لونْكْ أيلندْ ولما اخذنا باطراف الحديث علمنا منه بانه قد ترك اميركا مقتفياً اثر جورجيانو اللعين. فصاح به شرلوك وهل تعني جورجيانو مؤسس الدائرة الحمراء فاجاب نعم وقد امتد صيته الرديء في كل صقع وناد واني على بينة من كل افعاله وجرائمه العديدة التي ارتكبها في اميركا فهو سبب جرائم كثيرة يبلغ عددها الخمسين وقد تعقبته من نيويرك وكنت واياه على ادنى من قاب قوسين في لندن هنا وقد لحقنا به انا والمستر كريكسون فاختبأ في هذا المنزل الذي كنت قاصده انت والدكتور ونحن الان بانتظاره وقد برح الدار ثلاثة اشخاص غيره احدهم ذو لحية مائلة الى السواد. فهز شرلوك رأسه ثم قال كريكسون للمستر ليفرتون عن الرسائل الاشارية التي تكلم عنها شرلوك وبكلمات قليلة شرح لنا شرلوك كل ملاحظاته وللحال ضمَّ ليفرتون يديه قائلاً يتراءى لي ان هذا اللعين عالم بقدومنا وقد كان يرسل رسائله الى احد رجاله ينذره بقدوم الخطر فانقطعت رسالته

عندما رآنا والان ما رايك يا مستر شرلوك ؟ فاجاب صديقي من رأيي ان نصعد الى فوق وللحال صعدنا الى الطبقة العليا وكان الظلام مخيماً على جميع ارجائها فاشعل كريكسون مصباحه وجعلنا نسير من غرفة الى اخرى الى ان بلغنا درجات قليلة رأينا عليها آثار دم فتتبعنا الاثر الى ان وقفنا امام غرفة موصدة فدفع كريكسون الباب بعنف فانفتح ولما ارسلت رائد طرفي الى داخل الغرفة انخلع قلبي لدى رؤية ذلك المنظر المفزع الذي ترتعد له فرائص كل شجاع فكان ملقىً على الارض رجل مضرج بدمائه وقد برز من عنقه قبضة خنجر وبازائه قفاز من الجلد الاسود . ولما اطل رئيس الشحنة الاميركي براسه صاح بملء شدقيه : هذا هو جورجيانو الخبيث وقد نال حتفه وجزاءه من غير ايدينا . اما شرلوك فتركنا وحدنا واخذ شمعة وجدها على النافذة وبعدما انارها اخذ يشير بها ذهاباً واياباً في وسط ذلك الظلام المدلهم ولما سأله كريكسون عن قصده قال له ان ذلك سيساعدنا في حل ما نحن بصدده . ولم تمضِ بضع دقائق حتى رأينا على الباب امرأة لها جسم معتدل القوام ممتلىء العضلات ووجهها جميل يكسوه شعر فاحم مسترسل كالليل الحالك تتألق من تحته مقلتان لهما اهداب طويلة كانها درع من الزرد تحول دون تلك العيون عن ارسال سهمها القاتل الى شغاف قلب الناظر اليها فعرفها شرلوك ولما اكتحلت عيناها بمنظر القتيل طارت نفسها فرحاً واخذت ترقص طرباً ثم قالت يظهر لي انكم رجال الشحنة ولكن لماذا لا ارى زوجي بينكم وقد دعاني الان من هذه النافذة ؟ فقهقه شرلوك قائلاً انا الذي دعوتك لان ذلك

كان سهلاً عليّ بعد ما اطلعت على طريقة الرسائل الاشارية التي اصطلحتما عليها فلم يبق عليّ الا ان اذكر لك بالشمعة كلمة « VIENI » اي تعالي . فاندفع تنهد عميق من المرأة عبر عن مقدار الانتقام الكامن في صدرها ولما هدأ روعها طلب شرلوك منها ان تتلو علينا الحادثة بتمامها فقالت :

وُلدت في بوسيليبو من اعمال ايطاليا من اب فاضل يدعى اوغستوبارلي كان يتعاطى فن المحاماة . وكان بين المستخدمين عنده رجل يسمى جينارو احببته حباً مبرحاً يكاد يكون عبادة وكان به مني مثلما كان بي منه ولم تكن محبتي له طمعاً بماله او جاهه لانه كان فقيراً خاملاً بل لانه كان جميلاً فاصبحت ثملة بجماله وطلعته الملائكية وعقدت النية ان اقترن به غير ان ابي لم يسمح لي بذلك فهربت واياه الى باري في ايطاليا حيث تمّ عقد زواجنا ثم بعت كل حلاي وسافرنا الى اميركا وذلك قبل اربع سنوات وقد كان السعد حليفنا في بادىء الامر فاستخدم زوجي عند تاجر اثمار ايطالي الاصل يدعى المستر تيتو كستالوت فنجح نجاحاً باهراً الى ان اصبح وكيلاً لفرع من ذلك المحل وبما ان المستر كستالوت كان عزباً فقد ولع بنا ولعاً شديداً وصار يعاملنا كاولاد له . وقد فرشنا منزلاً صغيراً في بروكلين وأملنا مستقبلاً حسناً الى ان خيّمت تلك الغمامة السوداء فعكرت صفاء جونا واوشك نجم سعدنا بالافول . في احدى الليالي عاد جينارو من شغله وبصحبته رجل ايطالي يدعى جورجيانو قد قدم من بوسيليبو . وهو رجل ضخم البنية كما ترون من جثته المطروحة

على الارض امامكم ولم تكن هذه اوصافه فقط بل كان جباراً مخيفاً له صوت اشبه بالرعد القاصف . وكان يختلف الى منزلنا ويتلو علينا من نوادره الفظيعة ولم نكن لنسرّ برؤياه انا وزوجي فكنت اتلاهى بالشغل وجينارو يصيخ بسمعه لاحاديثه واراجيفه السياسية وهو صامت لاينبس ببنت شفة كالخادم امام معلمه ولم يطلعني زوجي على شيء من امره ولكن لم تخفَ عليّ ملامح الخوف العظيم التي كانت ترتسم على وجهه لدى رؤية ذلك الوحش . فطوقته بذراعيّ احدى الليالي وتوسلت اليه ان يطلعني على علاقته مع ذلك الرجل السيء الخلق والمعشر فاخبرني والدموع تتناثر من عينيه كاللآلئ على خدي فتطفئ لهيب ناره المتقدة ولدى سماع قوله جمد الدم في عروقي وها كم ما قاله لي انه لما كان عزباً وقد ضاقت في وجهه طرق كسب معاشه انتظم في سلك جمعية تكنّى بالدائرة الحمراء وكان لهذه الجمعية شروط وقوانين مخيفة ومن دخل فيها اصبح لا مناص له منها فهي تحشد اموالها من السلب والنهب وفي حوزتها اموال طائلة تنفقها في سبيل الحصول على اعضاء لها لاتمام مآربها الشخصية القبيحة ولما هربنا الى اميركا زعم جينارو انه اصبح معتقاً منها ولكن لشدة تعجبه ابصر ذات ليلة شبح جورجيانو امامه في احد الشوارع وقد لقبه سكان ايطاليا بالموت لما ابلاه فيها من البلاء المخيف في اقتراف الجرائم والجنايات وكان هربه من ايطاليا خوفاً من القبض عليه فاتى الى اميركا حيث اسس فرعاً لتلك الجمعية المنكرة وقد اطلعني جينارو على كل ما سمعتموه واراني رسالة مصدرة بدائرة حمراء هي شعار الجمعية تدعوه للحضور الى

اجتماع سيعقد بعد ايام قلائل واعلم ايها المستر شرلوك ان ما قصصتهُ عليكم الان لا يوازي شيئاً من الذي سنسمعونه اذ ان هذا لم يكن الا بداية الاوجاع والمصائب التي قصمت ظهرينا وحرمتنا لذة المعيشة الزوجية فلم اعد امتلك راحة ولا دعة لانني حيثما توجهت ومهما فعلت ارى وجهه المشوءوم ينظر اليَّ متهدداً متوعداً واصبح شغلي الشاغل من ذلك الحين مراقبة حركاته وسكناته والوقوف على مساعيه ونواياه الشريرة . وقد لحظت ابان تردده علينا انه يميل اليَّ ويكثر من الكلام معي فلم اردعهُ خوفاً على زوجي منه فازداد شغفاً بي وصرت اتظاهر بحبه ولكن قلبي كان يضطرب خوفاً منهُ وكرهاً له . وفي مساء ذات يوم وذلك قبل رجوع زوجي من شغله رأيت جورجيانو آتياً تواً الى غرفتي فامسكني بيديهِ رغماً عني وبعدما ضمني الى صدره غمرني بقبلاتهِ الوحشية التي خلتها اسهماً تخترق صدري فلبثت اصرخ واستغيث الى ان اقبل زوجي من شغله ولما وجدني على هذه الحالة ثارت فيهِ روح الغيرة علي فاسرع هاجماً عليهِ واخذا يتقاتلان الى ان افلت منهُ ذلك الخبيث وفرَّ هارباً

ولما ازف موعد اجتماع الجمعية المضروب ذهب زوجي رغماً عن ارادتهِ ملبياً الدعوة وعند رجوعه اخبرني بان اعضاء الجمعية قرروا تدمير منزل المستر كستالوت صديقنا الحميم بالديناميت في الليلة القادمة لانهُ لم يذعن لاوامر الجمعية باعطائهم المال الذي طلبوه فجعلوا طريقة انتقامهم على هذا النمط عبرة للآخرين وقد وقعت القرعة على زوجي لاجراء هذا العمل المنكر الذي تقشعرُّ له الابدان فشق عليهِ قتل صاحبه بل اعزّ

رجل عنده فبتنا تلك الليلة البطيئة الكواكب دون ان يأخذنا غمض نتقلب على نار احرّ من الجمر الى ان كان اليوم الثاني فرأينا ان انجع وسيلة لنا هي الهرب الى لندن وعند انتصاف النهار جهزنا معدات السفر وبعدما اعلمنا المستر كستالوت ورئيس الشحنة بجلية الامر غادرنا اميركا قاصدين لندن ولا حاجة ان اتلو عليكم ما بقي لانكم تعرفونه . واذ كنا متيقنين بان اعداءنا سيتبعوننا كظلنا مترصدين الفرص للانتقام اخذنا الاحتياطات اللازمة فاستأجر زوجي منزلاً عند المسز ورن نقلني اليهِ ليلاً دون معرفة احد وتركني وحدي دون ان يعلمني بمقره فكنت اقف على اخباره بقراءة جريدة الدايلي غازيت التي كان يرسلها لي كل صباح وفي ذات ليلة عند انبثاق الفجر بينما كنت مطلة من نافذة غرفتي وقع نظري على رجلين ايطاليين واقفين بازاء المنزل فعلمت ان جورجيانو هنا وقد اطلع على مخبئنا وصرت انتظر ورود الجريدة لاعلم شيئاً عن زوجي وفي آخر عدد قرأتهُ من الجريدة علمتُ بانه اكترى منزلاً كبيراً تجاه منزل المسز ورن ويطلب مني ان اراقب ليلاً النافذة الثانية من الطبقة الثالثة لاخذ رسالته الاشارية التي تعلمها ايها المستر شرلوك ولم تكن هذه الا تحذيراً وتنبيهاً لي وقد انقطعت الرسالة الثالثة في منتصفها ولا شك ان جورجيانو فاجأه وقتئذٍ فتقاتلا فقتله زوجي على ما يظهر ونعمَ ما فعل فانهُ قد اراحنا من شره لا بل اراح سكان ايطاليا واميركا خصوصاً والعالم عموماً من اعماله الذميمة التي يقفُ شعر الانسان لدى ذكرها . هذه هي القصة بتمامها ولا اظن بان زوجي ملوم البتة لما فعل

وعلى كل فاني اترك الحكم لكم لتفحصوا المسألة كما هي . ثم ودعتنا وانصرفت ولما فحصنا تفاصيل القضية فحصاً مسهباً وجدنا ان كلام المسز جنارو صحيح وان ذلك اللعين نال حتفه جزاء اعماله الشريرة



الملاريا وتاريخ الامة اليونانية

ظهر موُخراً باللغة الانكليزية كتاب عمراني جليل الفائدة للعلامة جونس Jones عنوانه الحمى الملارية وتاريخ الامة اليونانية أظهر فيهِ المولف باجلى بيان علاقة هذه الحمى بتأَخر تلك الامة العظيمة . ومن رأيه ان الملاريا كانت العامل الاهم في انحلال المملكة اليونانية . وقد استشهد على ذلك بكثير من كتابات ابوقراط وغيره من علماء اليونان. ومما قال ان هذه الحمى لا تزال تعمل ذات العمل في مقاطعات كثيرة من فرنسا وايطاليا والهند . وقد بنى رأيه هذا على القضايا التالية :

(١) ان اغنياء البلاد واقوياءهم يهجرون المحلات التي تكثر فيها هذه الحميات فلا يبقى فيها الا فضالة القوم من فقراء وضعفاء

(٢) ان هذه الحمى تصيب الفلاحين واصحاب المزارع في الخريف والصيف وهما فصلا الحراثة والدراسة فتنحط بسبب ذلك الزراعة وتقل ثروة البلاد والدولة

(٣) ان هذه الحمى تصيب في الغالب الاحداث والشبان فتنهك قواهم وتجعل حداثتهم عبارة عن ضعف مستمر فيتعذر عليهم السعي بجد وراء المعارف والعلوم ويهرمون قبل الميعاد فتضعف بسبب ذلك حالة

البلاد الادبية وتقلّ الاشغال المهمة التي تطلب رجالاً اقوياء

(٤) ان ميكروبات الملاريا تكمن في الدم اشهراً بل سنوات وتغتنم فرصة تعب البدن والفكر لتعيد كرتها على الجسم ولذا كان سكان البلاد التي تكثر فيها الملاريا يجتنبون كل ما من شانهِ تشغيل الفكر او البدن لاجئين الى الكسل والسكينة

هذه خلاصة افكار المؤلف ولعل فيها عبرة وذكرى لابناء هذه البلاد ودافعاً لهم على مقاومة هذا الداء الذي انهك ابداننا واضعف عزائمنا وكان من اهم الاسباب في تأخر بلادنا . وربما عدت الى الكلام عن اسباب هذا الداء وطرق استئصاله في فرصة موافقة الدكتور الياس حلبي



غريب ما يُرى

عنوان لقصيدة حسناء بعث بها الينا حضرة موقعها الفاضل وقد نشرها في جرائد اخر تعميماً لمغازيها الادبية فاقتطفنا منها ما ياتي :

لا يستطيع اخو التفكير تعليلا ... لما يراه من التدجيل مقبولا
يرى المرائين بين الناس قد غلبوا ... من لا يزال على الاخلاص محمولا
يرى الفتى الجاهل المغرور منتصراً ... كما يرى العالم النحرير مخذولا
يرى الفتى الخامل المجهول مشتهراً ... كما يرى الماجد المعروف مجهولا
يرى الكفيف بصيراً في الزمان كما ... يرى البصير يضيع العمر تضليلا
فانظر وقس واعتبر واصبر اخيَّ الى ... ان يقضي الله امراً كان مفعولا

اميون (لبنان) الضرير حنا سعاده

انباء مختلفة

المدارس الروسية في فلسطين وسوريا

اذاعت بعض الصحف ان في عزم الحكومة الروسية ان تستلم من الجمعية الفلسطينية الروسية مدارسها المنتشرة في سوريا وفلسطين وهي نحو مئة مدرسة تذرعاً الى ابلاغ النفوذ الروسي درجته اللازمة اسوة بفرنسا وايطاليا وغيرهما . ولما كنا في شك من هذا الخبر لاننا لم نره في مجلة الجمعية نفسها ولا في غيرها من الجرائد الروسية سالنا سعادة ناظر هذه المدارس في فلسطين المسيو بولس رياجسكي ان يطلعنا على الحقيقة فقال لا صحة لكل ما اذيع وان المدارس هي للجمعية ولم يدر شيء من مثل هذه المخابرات بينها وبين الحكومة سوى ان هذه ربما امدتها ببعض المساعدات المادية

اكرام تولستوي

في اليوم التاسع من نيسان الماضي أفتُتح في بطرسبرج متحف خاص تذكاراً لتولستوي اشتمل على نحو ثلاثة الاف اثر مما له علاقة بهذا الفيلسوف الكبير وكان من جملة المعروضات في هذا المتحف مولفات الفيلسوف وترجماتها الى اللغات الاجنبية ورسائله ومخطوطاته وصوره في سائر ادوار حياته . وعلى الجملة فان هذا المتحف حافل بكثير من التذكارات الجميلة عن هذا الرجل العظيم

= اعتذار =

لدينا شيء كثير من المقالات والروايات والقصائد التي تردنا يومياً من حضرات الاصدقاء والمكاتبين. ولما كانت صفحات المجلة تضيق دون استيعاب كل ذلك فقد اجلنا كثيراً منها الى الاجزاء القادمة فنرجو من اصحابها عذراً

آثار ادبية

العريس

مجلة علمية ادبية اجتماعية فكاهية شهرية لحضرات منشئيها الافاضل نسيب افندي محمود شهاب ووديع افندي نصار وفاضل افندي الجمل . وصلنا الجزء الاول منها فالفيناه غزير الفوائد كثير النفع . وهي تصدر في حمص . فنرجو لها ما تستحقه من الاقبال

الشبيبة

مجلة علمية ادبية روائية لحضرات

منشئيها الفاضلين عبد الباقي افندي الدروبي وعبد الكريم افندي صباغ . وقفنا على الجزء الاول منها فوجدنا فيه من المقالات والنبذ ما تجدر معرفته وتلذ مطالعته . وهي تصدر في حمص مرة في الشهر فنرجو لها التوفيق والنجاح

الغدر

رواية تمثيلية لحضرة الاب الفاضل الخوري برتلماوس ابرهيم صليبا احد اساتذة الكلية الشرقية في زحله . وهي طافحة بالمغازي الادبية. فنشكر لحضرة موءلفها هذه الهدية النفيسة

الكنائس الشرقية في فلسطين
= الجزء الثاني =

سبق لنا ان ذكرنا الجزء الاول من هذا الكتاب تاليف الفاضل الخواجا الفونس دالونصو وقد أُهدي لنا الان الجزء الثاني منه وفيه بحث واف عن الارساليات اللاتينية والامتيازات الاجنبية في فلسطين . فنثني على همة مولفه ونرجو لكتابه مزيد الرواج

خلاصة اعمال جمعية ترقي الاداب
= الوطنية في يافا =

تأسست هذه الجمعية سنة ١٩٠٨ وغايتها تهذيب الشبيبة وتربيتها وقد اطلعنا على خلاصة اعمالها عن سنتها الثالثة فراينا فيها دلائل النجاح والارتقاء فنثني عاطر الثناء على همم عمدة هذه الجمعية واعضائها الافاضل ونسال الله ان يجزيهم خير الجزاء

اهداء النفائس

(تابع لما قبل)

من حضرات الافاضل

(٢٦) الاستاذ اسكندر افندي داود الدير (عين كارم) الى عطاالله افندي منطوره (يافا)

(٢٧) الاستاذ امين افندي قيصر حوا (بونس ايرس) الى والده قيصر افندي حوا (عكا)

(٢٨) الخواجا فريد السكران (بونس ايرس) الى اخيه الخواجا سليم السكران (الرينه — الناصرة)

(٢٩) الخواجا خليل ابرهيم غميض (بيجابيستا—الارجنتين) الى قدس الاب الخوري غفرئيل فيعاني (طرابلس الشام)

(٣٠) شحاده افندي موسى (بيجا بيستا — الارجنتين) الى طعمه افندي شحاده (حواش الحصن)

فنشكر لحضراتهم غيرتهم الادبية